موجز الكلام

شرح

منظومة عقيدة العوام

تأليف

محمد بن علي بن محمد باعطية الدوعني

حُقُوقُ الطَّبعِ مَحفُوظَةٌ لِلمُؤَلِّف

الطبعة الاولى

١٤٢١هـ - ٢٠٠١ م

التوزيع في الإمارات العربية المتحدة : دار الفقيه للنشر والتوزيع - أبو ظبي
تلفون : ٠٠٩٧١٢ ٤٤٦٠٠٤٥

التوزيع في الجمهورية اليمنية : مكتبة تريم الحديثة - حضرموت
تلفون : ٠٠٩٦٧٥ ٤١٧١٣٠

تمهيد

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي دل الخلق علىٰ معرفته بما أوجبه عليهم من النظر في مخلوقاته، وبما أخبر به فيما أوحاه إلىٰ رسله من صفاته ونعوت كمالاته، وحجبهم عن معرفة كنهه وعن التفكر في ذاته سبحانه ﴿ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا ﴾ والصلاة والسلام علىٰ سيد العارفين القائِل «اللهم إني أعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك وأعوذ بك منك لا أحصي ثناءً عليك أنت كما أثنيت علىٰ نفسك»، اللهم صل عليه وعلىٰ آله وأصحابه المقتبسين من مشكاته المستضيئين بأنوار هداياته الذين أشرقت شموس المعرفة علىٰ مسالكهم فساروا فيها مهتدين آمنين وجاء مَنْ بعدهم بهم مقتدين.

وبعد فإن علم التوحيد هو أشرف العلوم وأساسها وما جاءت رسل الله من أولهم إلىٰ خاتمهم وأشرفهم عليه وعليهم أفضل الصلاة والتسليم إلا بالدعوة إليه مصرحين أنه لا نجاة إلا بتحقيقه ولا عبور في مفاوز الهلكة إلا باستصحابه ولا نيل للسعادة الأبدية ولا نجاة من الشقاء في العاجل والآجل إلا بالورود علىٰ مناهله الصافية النقية.

فنشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له لا رب سواه ولا معبود إلا إياه لا شبيه له ولا نظير ليس كمثله شيء وهو السميع

البصير ونشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله، رضينا بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد صلىٰ الله عليه وآله وسلم نبياً ورسولاً، علىٰ ذلك نحيا وعليه نموت وعليه نبعث إن شاء الله من الآمنين.

لقد درج سلف الأمة علىٰ إلقاء المسائل الإيمانية الإعتقادية وتثبيتها في نفوس الناشئة والعوام علىٰ أسلوب التلقين لهذه العقائد وترديد ذلك من غير إظهار حجة أو إبداء دليل أو ذكر تعليل فترسخت هذه العقائد في نفوسهم وملكت ألبابهم وبعدت عن خواطرهم الوساوس والشكوك والأوهام. تلقوا ذلك عن سيد الموحدين وإمامهم رسول الله صلىٰ الله عليه وآله وسلم وتعلموه من كتاب ربهم حيث قال لهم ﴿ قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾.

وإن من فضل الله علىٰ عبيده أن جعل قلوبهم تنشرح للإيمان بهذا التلقين والالقاء في النفوس لأنه دين الفطرة كما قال تعالىٰ وتقدس ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾.

وفي حديث البخاري ومسلم من طريق أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ «ما من مولود إلا ويولد على الفطرة ـ وفي رواية علىٰ هذه الملة ـ فأبواه يهوّدانه أو ينصرانه أو يمجسانه».

إن الإيمان بالله مرتكز في نفوس البشر لذا نجد الإحساس بوجود الله موجود حتىٰ عند أصحاب الفطر المنحرفة يظهر عندما يواجه الإنسان جائحة لا يستطيع دفعها أو الهروب منها قال الله تعالىٰ ﴿ ۞ وَجَٰوَزۡنَا بِبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱلۡبَحۡرَ فَأَتۡبَعَهُمۡ فِرۡعَوۡنُ وَجُنُودُهُۥ بَغۡيٗا وَعَدۡوًاۚ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدۡرَكَهُ ٱلۡغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِيٓ ءَامَنَتۡ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴾.

إن تلقين العقائد من النشأة الأولىٰ وعلىٰ العوام مما يجمع نفوسهم عليها ويزيدهم تمسكاً بها، ثم تقوى عرى الإيمان في النفوس بتلاوة كتاب الله ومعرفة تفسيره وقراءة الأحاديث النبوية وبما حوته من حجج قطعية، وما تؤثره مجالس الصالحين من العلوم النافعة وما يحدث من مشاهدتهم وما هم عليه من خضوع وخشوع فيذكر الله إذا رآهم من أتاهم وتطمئن القلوب بذكر الله.

إذا رؤوا يشهـــر ذكـــر الله فهـو لهـم سيمـا علـىٰ الجبـاه
يعـرف معنـاهـم بـلا اشتبـاهِ من حيث ما يعرف ذو الجلال

قال حجة الإسلام الغزالي في إحياء علوم الدين: وليس الطريق في تقويته ـ الإعتقاد ـ أن يعلم صفة الجدل والكلام بل يشتغل بتلاوة القرآن وتفسيره إلى آخر كلامه النفيس رحمه الله تعالىٰ.

إن الله تعالىٰ وقد أوجب علىٰ خلقه توحيده والإيمان به أرسل اليهم رسله ووجَّه المكلفين إلىٰ النظر في مخلوقاته البديعة وما حوته من دقيق الصنع وجميل الخلق والتناسق بين الموجودات

ليستدلوا بها علىٰ وجوده وعلىٰ أسمائه وصفاته وأنه متصف بالكمالات واستغنائه عن الخلق وافتقارهم إليه وأنه ليس كمثله شيء وحجبهم عن التفكر فيه أو معرفة ذاته.

لقد أوضح الله لنا ذلك في حجاج موسىٰ عليه السلام لفرعون وإجاباته المتكررة له بأنه لا مطمع في معرفة الله إلا بآثاره وخلقه إذ نيل هذه المعرفة تعجز عنها العقول وتهلك النفوس دون تحصيلها لأن الله تعالىٰ لا تحيط به الفِكَر ولا تدركه العقول.

﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ ۖ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴿٢٤﴾ قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُۥٓ أَلَا تَسْتَمِعُونَ ﴿٢٥﴾ قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِىٓ أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴿٢٧﴾ قَالَ رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَآ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴾.

وجاء في التوجيه النبوي فيما رواه ابن عباس رضي الله عنهما «تفكروا في خلق الله ولا تفكروا في الله» وقد صدَّر الصدِّيق رضي الله عنه إحدى خطبه بقوله: الحمد لله الذي لم يجعل للخلق سبيلاً إلىٰ معرفته إلا بالعجز عن معرفته، لقد وجَّهنا الله إلىٰ النظر في أنفسنا وفي هذا الكون الفسيح وما حواه من مخلوقات لنستدل بها علىٰ وجوده وتوحيده ونؤمن به إلهاً واحداً لا نعبد إلا إيَّاه ولا نشرك به أحداً.

قال الله تعالىٰ ﴿ وَفِى ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾ هذا الإنسان الكائن العجيب المسخر له ما في السموات وما في الأرض من أيِّ شيءٍ تمَّ خلقه وما هي الأطوار التي مرَّ بها هذا التخليق ﴿ وَلَقَدْ

﴿خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٤﴾﴾.

إن الله تعالىٰ وهو يذكر عجائب خلق هذا الإنسان يرشده إلىٰ أنه هو سبحانه الخالق له ليعرف أن له رباً يوحده ويؤمن به ويعبده. ﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴿١٤﴾﴾، ﴿يَخْلُقُكُمْ فِى بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ خَلْقًا مِّنۢ بَعْدِ خَلْقٍ﴾، ﴿إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿٢﴾﴾.

ثم هذا الكون الكبير الذي لا يكاد يتناهى وما حواه من شموسٍ وأقمار ومجرات وما جعل لها من مسالك ومسارات يعجز الإنسان عن الإحاطة بها ومعرفة أسرارها ولم يكشف من أحوالها إلَّا نزراً يسيراً بالنظر إلىٰ ما جُهِل كل ذلك مما يحدو العاقل إلىٰ الإيمان بالله وتوحيده.

قال أحد علماء المادة في هذا العصر «إن الإتساق البادي في الكون يدل دلالة باهرة علىٰ الله ولو كنت أعلم أكثر مما أعلم لكان إيماني بالله أشد وأعمق عما هو عليه الآن».

إن من أعظم الوسائل لتدريس علم التوحيد وغرسه في النفوس في هذا العصر الذي أظهر الله فيه لنا كثيراً مما خفي علىٰ السابقين من إعجاز في صنعه وخلقه نطقت به أو أشارت إليه آيات الكتاب العزيز أو جاء في أحاديث سيد المرسلين الإخبار عنه أو الإيماء إليه

مما يسمىٰ الإعجاز العلمي في القرآن والإعجاز العلمي في الحديث الشريف نشر هذه الكشوف وعرض هذا الإعجاز فإن ذلك مما يقوى به الإيمان وتترسخ جذوره ولقد قيَّض الله في هذا العصر بعض العلماء المتخصصين في فنون المعرفة كالطب والفلك وعلوم الأرض والنبات فكتبوا عن حقائق علمية تجلت فيها قدرة الله وأفصحت عن عظيم صنعه وربطوا ذلك بالإيمان بالله وبما أشار إليه في كتابه مما بعضه صريح الدلالة أو واضح الإشارة فبارك الله في جهودهم ونفع بعلومهم إن التوجه إلىٰ هذا المسلك في نشر توحيد الله مما ينبغي الإهتمام به ومما يجمع الدعاة إلىٰ الله علىٰ كلمة سواء.

لقد عنى كثير من علماء المسلمين من أهل السنة والجماعة الذين كتبوا في التوحيد ولا سيما الصفات بالإهتمام برد شبهات المبتدعة الذين ظهروا في العصور الأولىٰ وأقاموا الحجة علىٰ الملاحدة علىٰ وجود الله وتكاد تنحصر مقالاتهم في الرد علىٰ أهل الإعتزال واستعانوا في ردودهم مع الأدلة النقلية بعلم الكلام لسان خصومهم ليلزموهم بحججهم وقد ظهرت الغلبة لأهل السنة فيما أقاموه من مناظرات وما ألَّفوه من رسائل اعتنى بها من بعدهم بشرحها وتعليمها وما زال ذلك متوارثاً إلىٰ اليوم في كثير من دور العلم ومعاهده وقد اختلف أهل العلم من السابقين في علم الكلام فحرمه بعضهم وعده بدعة وقال أهله إنه من الواجبات أو فرض كفاية أو عين لأن به يكون التحقيق لعلم التوحيد والدفاع عن الدين أمام الملاحدة والمبتدعة مبررين الاصطلاحات الكلامية التي أحدثوها بأن لها

نظائر في سائر العلوم كالحديث والفقه وغيرها من العلوم وردوا ما وجه إليهم من الإعتراض علىٰ المعاني التي وردت في فنهم بأن المقصود بها معرفة الدليل علىٰ حدوث العالم ووحدانية الله. وقد استدلوا بآيات من كتاب الله مثل قوله تعالى: ﴿إِنْ عِندَكُم مِّن سُلْطَٰنٍۭ بِهَٰذَآ﴾ أي حجة وبرهان وبمحاجة إبراهيم عليه السلام لخصمه في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ﴾ وعمدة استدلالهم علىٰ هذا النهج قوله تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ إلىٰ غير ذلك مما فصله حجة الإسلام الغزالي رحمه الله في كتاب إحياء علوم الدين وفي كتابه الإقتصاد في الاعتقاد وقد أتى فيهما بالقول الفصل والنصفة في الحكم وانتهىٰ إلىٰ القول إلىٰ أن تعلمه من فروض الكفاية لكي ترد شبه الملاحدة وأهل الابتداع وأنه يجب إلجام العامة عنه لما لذلك من مفاسد الشكوك والاضطراب في الاعتقاد وقد ألَّف الشيخ الفقيه المتكلم الأستاذ محمد بن علي باعطيه الدوعني شرحه علىٰ منظومة عقيدة العوام وأسماه موجز الكلام شرح عقيدة العوام وبذل في ذلك جهداً مشكوراً وعمل عملاً مبروراً يحتاج إليه الطلاب لدفع شبه أهل الزيغ من المبتدعة والملاحدة لقد جمع في شرحه فأوعى وأتى بما يغني الطلاب عن الرجوع إلىٰ المطولات فجزاه الله أفضل الجزاء ونفع بشرحه كما نفع بهذه المنظومة المباركة وصلىٰ الله علىٰ سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

في مكة المكرمة — وكتبـــه

٢٣ جمادى الأولى سنة ١٤٢١هـ — **عمر بن حامد بن عبد الهادي الجيلاني**

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الباقي على الدوام، المتفرد بالخلق والإيجاد والإعدام، سبحانه وتعالى اتصف بصفات الكمال، ونُعِتَ بنعوت الجلال، ليس كمثله شيء، ولا مِثْلَ ولا نِدَّ له في ذاتٍ ولا صفاتٍ ولا أفعال، تفرّد بالكبرياء واحتجب بالجلال، وأشهد أن لا إلٰه إلاّ الله وحده لا شريك له الملك المتعال، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله، بعثه مولاه هادياً وبشيراً ونذيراً وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً إلى كافة الناس، فدلَّ الخلق عليه، وأرشدهم إليه.

اللهم صلِّ وسلم وبارك على سيدنا محمد النبي المختار، وعلى آله وصحبه الأبرار، وعلى من نهج منهجهم وسار بسَيْرِهم من الأئمة الأخيار، وبعد:

لما رأيت عقيدة العوام للشيخ أحمد المرزوقي قد عمّ بها النفع، ودائماً يسارع في حفظها النشء، أحببت أن أضع عليها تعليقاتٍ مفيدةً، تشرح ألفاظها اللطيفة، وسمّيتها (موجز الكلام شرح عقيدة العوام)، وإن كُنتُ قد سُبقت لذلك العمل، والفضل للسابق ليس فيه جدل، خاصة وأن العلّامة الشيخ محمد نووي جاوي قد وضّح ألفاظها، وشرحها شرحاً عجيباً مليئاً بالفوائد العلمية في ذات الفن وغيره، فأحببت اقتصار شرح المنظومة في موضوعها لأن الهمم قد

ضعفت، فجمعت من كتب أهل العلم في هذا المضمار ما يناسب المبتدىء فيه، وخاصة أن معرفة ألفاظ مثل هذه المنظومة والتي هي أول درجات السلم التي يرتقي عليها من أراد معرفة الصفات الواجبة لله تعالى، والمستحيلة عليه، والجائزة له. وهذا القدر الذي يخص الإلـٰهيات في أمور العقديات، وكذا ما يشتمل على النبوَّات والسمعيات، ومنها يتدرج الطالب في غيرها من أمهات الكتب في فهم عقيدة أهل السنة والجماعة، والتي يجب أنْ يتحصن بها المؤمن وخاصة طالب العلم، في زمن ساد فيه مذهب أهل الأهواء من المبتدعة، وأصبح لا خلاص إلا بدراسة وافية تثبَّت بها قواعد مذهب أهل السنة والجماعة في نفس طالب العلم، حتى لا تدفع به الأهواء إلى أهل الضلال من الفرق التي ذكرها النبي صلى الله عليه وآله وسلم في أحاديثه، والتي أوضح فيها افتراقَ أمته إلى ثلاثٍ وسبعين فرقةً كلها في النار إلا فرقةً ناجية وهي التي على ما كان عليه النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه، كما في حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما حيث قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «ليأتين على أمتي ما أتى على بني إسرائيل حذو النعل بالنعل، حتى إذا كان منهم من أتى أُمَّه علانية لكان في أمتي من يصنع ذلك، وإن بني إسرائيلَ تفرقت على اثنتين وسبعين ملة، وتفرقت أمتي على ثلاث وسبعين ملة كلهم في النار إلا ملة واحدة، قالوا: ومن هي يا رسول الله؟ قال: ما أنا عليه وأصحابي»[1]. رواه

---

(١) سنن الترمذي.

الترمذي وأبو داود. وعن أنس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «إن بني إسرائيل افترقت على إحدى وسبعين فرقة وإن أمتي ستفترق على اثنتين وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة وهي الجماعة»[١].

فانظر إلى قوله عليه الصلاة والسلام إلا الجماعة وهو ظاهر على أنهم أهل السنة والجماعة وهم السواد الأعظم من علماء المسلمين، فتدبر رحمك الله إلى جماعة المسلمين وإلى أي اعتقاد صاروا فصر إليه واترك أهل الأهواء والضلال.

وقد أوضح ذلك قوله صلى الله عليه وآله وسلم: «ألا إن مَن قبلَكم من أهل الكتاب افترقوا على ثنتين وسبعين ملة وإن هذه الأمة ستفترق على ثلاث وسبعين، ثنتان وسبعون في النار وواحدة في الجنة وهي الجماعة، وإنه سيخرج من أمتي أقوام تجارَىٰ - أي تتجارَىٰ - بهم تلك الأهواء كما يتجارى الكَلَب[٢] بصاحبه لا يبقَىٰ منه عرق ولا مفصل إلا دخله»[٣]. وجاء في رواية: «قالوا من هي يا رسول الله قال: ما أنا عليه وأصحابي»[٤] وفي أخرى: «كلها في النار إلا السواد الأعظم»[٥].

---

(١) سنن ابن ماجه.

(٢) الكَلَب: داء يعرض من عض الكلب.

(٣) سنن أبي داود، مسند الإمام أحمد.

(٤) سنن الترمذي.

(٥) سنن البيهقي.

وقد بيَّنا لك أنه يجب عليك أن يكون اعتقادُك اعتقادَ السواد الأعظم من المسلمين، فانظر ذلك جيداً وتدبره واترك ما سواه وتبصر في أمر نفسك لا تتجارىٰ بك الأهواء.

والفرق المذمومة في هذه الأحاديث هي فرَق أصحاب الأهواء الضالة الذين خالفوا الفرقة الناجية في مسائل العدل والتوحيد، أو الوعد والوعيد، أو القدر والاستطاعة، أو تقرير الخير والشر، أو الإرادة والرؤية، أو في صفات الله تعالى، أو في باب من أبواب النبوة وشروطها، ونحو ذلك مما اتفق عليه أهل السنة والجماعة، فكانوا على أصل واحد، وخالفهم فيه أهل الأهواء من قدرية وخوارج وروافض وجهمية ومجسمة ومَن جرى مجراهم. وليس منه بحال ما اختلف فيه أئمة الفقه من فروع الأحكام في أبواب الحلال والحرام. والحاصل أن علماء الإسلام قالوا: قد ظهرت من أصول الفرق: الحرورية والقدرية والجهمية والمرجئة والرافضة والجبرية، فهذه الستُّ أصل الفرق الضالة، وانقسمت كل منها إلى اثنتي عشرة فرقة فصارت اثنتين وسبعين فرقة. ونقل القرطبي عن بعض العلماء قوله: «هذه الفرقة التي زادت في فرق أمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم هم قوم يعادون العلماء ويبغضون الفقهاء ولم يكن ذلك في الأمم السالفة»[1].

فائدة: قال الفضيل بن عياض: «من أحب صاحب بدعة أحبط الله عمله وأخرج نور الإسلام من قلبه، ومن زوج كريمته من مبتدع فقد قطع رحمها، ومن جلس مع صاحب بدعة لم يُعطَ الحكمة».

---

(١) انتهى من كتاب «عون المريد لشرح جوهرة التوحيد».

وابتدأ الناظم منظومته باسم الله حيث قال: (أبدأ باسم الله) أي أبدأ نظمي هذا باسم الله تعالىٰ متبركاً به ومستعيناً به على إتمام هذه المنظومة التي حوت مذهب أهل السنة والجماعة في أصول الدين، إقتداء بالقرآن الكريم، لأن أول شيء في كتاب الله تعالىٰ، بسم الله الرحمٰن الرحيم. ولا يعارَض بأن أول ما نزل: اقرأ باسم ربك الذي خلق، لأن القرآن له تَنَزُّلان، حيث نزل جملة واحدة إلى سماء الدنيا بهذا الترتيب الذي في المصحف، ونزل منجَّماً على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على حسب الأحوال والحوادث، وكان أوله: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ﴾ فكان في تَنَزُّلاته جميعاً الابتداءُ باسم الله تعالى، وعملاً بقوله صلى الله عليه وآله وسلم: «كل أمرٍ ذي بال لا يُبدأ فيه ببسم الله فهو أقطع أو أجذم أو أبتر». والمعنى ناقص وقليل البركة، وهو وإن تم معنىً لا يتم حِسّاً. والأمر ذو البال هو كل ما يُهتم به شرعاً، فعلاً كان كالتأليف، أو قولاً كالقراءة، شريطة أن لا يكون محرماً لذاته، أو مكروهاً لذاته، أو ذكراً محضاً، أو مما جعل له الشارع مبدأً غير البسملة كالأذان، أو لا يكون من سفاسف الامور ككنس زبل ونحوه.

تنبيه: تطلب البسملة عند قراءة كلِّ سورة من سور القرآن، وتجب عند تلاوة الفاتحة في الصلاة، وتحرم عند افتتاح سورة براءة عند ابن حجر وتكره عند الرملي، وتكره في أثنائها عند ابن حجر،

وتستحب في أثنائها عند الرملي. فإن قيل: هذه المنظومة شعر، وقد قال العلماء: لا يُبدأ الشعر بالبسملة، أُجيبَ بأن الشعر الذي لا يبدأ فيه بالبسملة، هو ما احتوى على مدح مَن لا يجوز مدحه، أو ذم من لا يجوز ذمه، وأما هذه المنظومة فموضوعها علم التوحيد وهو أشرف العلوم، فكانت من الأمور ذوات البال.

فإن قيل أيضاً إن نظم البسملة في الشعر يكره أو هو خلاف الأولى ـ قيل إن ذلك لا يَرِدُ على هذه المنظومة لأن ناظمها قد سمعها من النبي صلى الله عليه وآله وسلم في رؤيا منامية بادئاً بالبسملة فيها نظماً بهذه الكيفية فأثبتها كذلك.

والباء في بسم الله للمصاحبة مع التبرك.

لطيفة: قال بعضهم: كُسِرَتِ الباء في البسملة تعليماً للتوصل إلى الله تعالى والتعلق بأسمائه بكسر الجناب والخضوع القلبي وذل العبودية.

و: **اسم**: مشتق من السمو بمعنى العلو والرفعة، لظهور مسماه به لأن التسمية تنويه بالمسمى ورفع لقدره، أو هو مشتق من الوسْم بمعنى العلامة لأنه علامة دالة على المسمى.

والجار والمجرور هنا متعلق بفعل أَبدأُ، كما في قوله تعالىٰ: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ﴾. وإضافة اسم إلى لفظ الجلالة من إضافة العام للخاص، لأنه يعم لفظ الجلالة وغيرَه من باقي الأسماء الواردة، لأن أسماء الله توقيفية فلا يجوز أن تطلق عليه إلا ما ورد النص به عند أهل التحقيق.

وإنما خص في البسملة لفظ الجلالة لأنه الإسم الجامع، فالله ـ عَلَم للذات المتصف بكل كمال المنزه عن كل نقص ولذلك هو الإسم الأعظم عند أهل التحقيق.

ولأن الله تعالىٰ قال لنبيه ﷺ: ﴿قُلِ ٱللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ﴾ [الأنعام: ٩١] وإنما لا تحصل الإجابة به لبعض الناس لفقد الشروط والتي من أهمها أكل الحلال.

واختلف العلماء في لفظ الجلالة هل هو مشتق أو لا:

قال الرازي: إن لفظ الإلٰه على قول كثير من العلماء مشتق من العبادة فكان دالاً على كونه سبحانه مستحِقاً للعبادة لما اتصف به من كمال العظمة والجلال.

وقال بعضهم: إنه مشتق من (وَلِهَ) إذا تحير، أبدلت واوه همزة ولما أرادوا تفخيمه أدخلوا عليه الألف واللام، فالله تعالى يحير أولئك في الفكر في حقائق صفاته وعظمته.

وقيل أنه مشتق من أَلِهْتُ إلى فلان أي سكنت إليه، فالعقول لا تسكن إلا إلى ذكره، والأرواح لا تفرح إلا بمعرفته.

وقيل أنه من ولاه إذا احتجب، أو من أَلِهَ إذا أولع، أو من الوله أي المحبة الشديدة، فالعباد يولهون به ويطربون بذكره.

أو من تألهت إذا تضرعت فالإلٰه هو الذي يُتضرع إليه. وقيل من أَلِهَ إلى فلان إذا فزع إليه من أمر نزل به، فالخلق يفزعون إليه سبحانه في جميع الأمور.

واختار الرازي والخليل وسيبويه وأكثر الأصوليين والفقهاء أنه غير مشتق البتة، بل هو عَلَم ابتداء لذاته سبحانه من غير اعتبار صفة ولا ملاحظة معنى من المعاني المذكورة، ولا يعرف في كلام العرب له اشتقاق.

ومما استدلوا به على ذلك أنه لو كان مشتَقّاً لاشترك في معناه كثيرون. قال بعض العارفين أنه اسم للذات الإلٰهية من حيث هي على الإطلاق، لا باعتبار اتصافها بالصفات، والألف واللام فيه لازمة، ولولا أنه من أصل الكلمة لما جاز إدخال حرف النداء على الألف واللام فتقول يا الله ولا تقول يا (الرحمٰن).

(**والرحمٰن**) والرحيم اسمان مشتقان من الرحمة على وجه المبالغة في الفعل. قال في الدرة: والرحمة لغة: رقة القلب وانعطاف يقتضي التفضل والإحسان، وهي مستحيلة على الله بهذا المعنى، وإنما المراد بها غايتها. وأسماء الله تعالى المأخوذة من نحو ذلك إنما تؤخذ من نحو الغايات دون المبادىء التي تكون انفعالات. انتهى.

فإذاً، الرحمة في حقه تعالى، إما بمعنى الإحسان، وهو صفة فعل كالإحياء والإعزاز، وهي عبارة عن تعلق القدرة التنجيزي الحادث، أو إرادته وهي صفةُ ذاتٍ كالقدرة والعلم فهما بمعنى المحسن أو مريد الإحسان.

والحاصل إما أن يقال أن الرحمة من صفات الذات، وهي إرادة إيصال الثواب والخير ودفع الشر، فالباري سبحانه في الأزل رحمٰن ورحيم لأن إرادته أزلية، وقد أراد أزلاً أن ينعم على عباده المؤمنين فيما لا يزال.

ويمكن جعل الرحمة من صفات الفعل وهي إيصال ما أراده الله من خير ودفع شر.

وصفات الذات: هي ما يوصف بها ولا يوصف بضدها نحو القدرة والعزة والعظمة.

وصفات الفعل ما يجوز أن يوصف بها وبضدها كالرضا والغضب لكن الرحمٰن ـ بمعنى المنعم بجلائل النعم وهي أصولها كالوجود والإيمان والعافية والرزق والعقل والحواس وغير ذلك.

(وبالرحيم) أي كذا أبدأ بالرحيم، وهو المنعم بدقائق النعم وهي فروعها كالجمال وزيادة الإيمان ووفور العافية وسعة الرزق ودقة الفهم وحدة السمع والبصر، وفيه إشارة من الناظم لما تفضل الله عليه به من زيادة الإيمان بمعرفة مذهب أهل السنة والجماعة والذي حوته المنظومة.

لذلك قال (دائم الإحسان) أي أنه دائم التفضل على عبيده سبحانه وتعالىٰ أي أن تفضله مستمر أبداً وأزلاً لا انقطاع فيه.

(فـ): من أجل ذلك أثنى الناظم على الله بلسانه على هذه النعمة مع تعظيمه إياه مع اعتقاده أن كُلَّ ثناءٍ ثابتٌ له.

وافتتح الناظم بـ (الحمد لله) أداء لحق شيء مما يجب عليه من شكر النعماء التي تأليف هذه المنظومة أثر من آثارها.

وإذا قيل: أن الابتداء بالبسملة يفوت الابتداء بالحمدلة وبالعكس.

قلنا: حمل العلماء الابتداء بالبسملة على الحقيقي وهو ما لم يسبقه شيء، والابتداء بالحمدلة على الإضافي. ويكون المعنى إرادة الابتداء بالبسملة والحمدلة حيث لا يبدأ بأمر قبلهما البتة.

وبهذا يُجمع بين الأحاديث الواردة في البسملة والحمدلة من قوله صلى الله عليه وآله وسلم: «كل أمر ذي بال لا يُبدأ فيه ببسم الله فهو أقطع..» وبقوله عليه الصلاة والسلام: «كل أمر ذي بال لا يبدأ فيه بالحمد لله فهو أقطع..».

والحمد لغةً: هو الثناء باللسان على فعل الجميل الإختياري على جهة التعظيم والتبجيل سواء كان في مقابلة نعمة أم لا.

واصطلاحاً: فعل ينبىء عن تعظيم المنعم بسبب كونه منعماً على الحامد أو غيره، سواء أكان ذلك الفعل اعتقاداً بالقلب، أو قولاً باللسان، أو عملاً بالأركان التي هي الأعضاء كما قال القائل:

أفـادتكـم النعمـاء منـي ثـلاثـة يدي ولساني والضمير المحجبا

فاليد للطاعة واللسان للثناء والضمير للحب والتعظيم.